فقه السنن أهميته ودوره في تغيير واقع الأمة الإسلامية

مداخلة الدكتور طوابة نور الدين
أستاذ التعليم العالي بجامعة أدرار

إن الناظر في تاريخ الأمم يمكنه أن يكتشف . بعد النظر والتأمل . مختلف العوامل المؤثرة في نهضة الأمم وتجدد حضارتها أو ارتكاسها وأفولها، وذلك لأن الأمم تمر بمراحل مختلفة، وقد تعتريها حالات من الضعف والوهن تحتم على أهلها التفكير في الطرق المثلى لتجديدها وإعادة بعثها.

ولا يكون ذلك – في الكثير من الأحيان – إلا عن طريق فقه سنن الله في الأمم، مع أن ما يقتضيه هذا الفقه من خطوات ووسائل وأسباب، تعد ضرورة لازمة وخطوة لكل من يروم النهوض بعد السقوط والإصلاح بعد الفساد، لذلك فإن حاجة المسلمين اليوم إلى فهم هذه السنن وفقهها وحسن التعامل معها أمر لا يختلف فيه اثنان.

والإنسان المسلم لكي يكون فاعلا ومؤثرا لابد أن يكتشف هذه السنن والأسباب ويحسن تسخيرها.

ومن أجل زيادة حضور هذا المفهوم المركزي في الوعي الإسلامي الحاضر، وزيادة إمكانية الأخذ به في مناحي الفكر والواقع والحياة المختلفة.

وحتى يتحول الاهتمام بالسنن من الصفة النخبوية إلى ظاهرة جماهرية تعم العالم الإسلامي كله، ولأن الفائدة الحقيقية من دراسة هذه السنن لا تظهر إلا إذا أصبح مفهومها في متناول وعي جماهير المسلمين العاديين، وبدأت آثاره تتسرب إلى سلوكهم وحياتهم اليومية، فالجماهير العريضة من الناس هم اللبنة الأساسية للتغيير والإصلاح المطلوب.

وتعميقا لهذا المفهوم أردت أن أطرح للمحاورة والنقاش جملة من النقاط تكون كعناصر لهذه المداخلة وهي كالآتي:

1- تعريف فقه السنن
2- أهميته والحاجة إليه.
3- السنن الإلهية في الفكر الإسلامي
4- عواقب الإعراض عن السنن: واقع الأمة الإسلامية
5- العقاب الإلهي للأمة الإسلامية عند مخالفة السنن أسبابه ومظاهره
6- النهوض بالأمة الإسلامية بالتفاعل مع السنن وتطبيقها: كيفيته وآليته

1ـ تعريف فقه السنن:

عندما نتصفح كتب التراث لا نكاد نجد فيها ذكرا واضحا ومعنى متجليا لكلمة " فقه السنن " فكتب اللغة والتفسير والتراث مثلا لا يظهر لنا فيها مدلولا متكاملا محددا لمفهوم "السنن الإلهية".

يقول ابن منظور:" وسنة الله: أحكامه وأمره ونهيه،....وسن الله سنة: أي بين طريقا قويما... والسنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة،...وإذا أطلقت في الشرع، فإنما يراد بها ما أمر به النبي- صلى الله عليه وسلم – ونهى عنه،.. ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة؛ أي القرآن والحديث" [1].

ويقول الراغب:" فالسنن: جمع سنة، وسنة الوجه طريقته، وسنة النبي: طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله تعالى: قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته، نحو قوله تعالى: "**سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**" الأحزاب: 62.[2]

ويقول القرطبي: في تفسيره لقوله تعالى: " **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض**" آل عمران: 137. "والسنن جمع سنة وهي الطريق المستقيم، وفلان على السنة: أي على طريق الاستواء، لا يميل إلى شيء من الأهواء، والسنة الإمام المتبع المؤتم به، يقال:سن فلان سنة حسنة وسيئة: إذا عمل عملا اقتدي به فيه من خير أو شر" [3].

وجاء في المصحف الميسر: السنن جمع سنة وهي الطريقة المعبدة والسيرة المتبعة.والمثال المتبعة، وقال أهل اللغة إنها من سن الماء، إذا والى صبه. فشبهت العرب الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب فإنه لتوالي أجزائه على نهج واحد يكون كالشيء الواحد.

وإذا ذكرت السنة فإنها تعني: القانون المطرد الذي لا يتخلف إلا في قضايا السنن الخارقة. أما السنن الجارية فلا تتخلف مثل السنن الكونية. والسنن أيضا الشؤون التي سنها الله للأمم وهي لا تتبدل بتبدلها.".[4]

ومما يلاحظ حول هذا الموضوع غياب وجود تعريف علمي متكامل للسنن الإلهية قديما، أي عدم وجود تعريف يحدد ماهية هذا المفهوم، ومجال عمله بشكل مضبوط، الأمر الذي يشير – ولو من طرف خفي – إلى قلة الاهتمام بهذا المفهوم في التراث الإسلامي القديم، على الرغم من اهتمام القرآن الكريم به. [5]

أما حديثا فإن المفكرين تحدثوا عن الموضوع بشيء من الوضوح فمن تعريفاتهم لسنة الله:

---

[1] _ ابن منظور الإفريقي: لسان العرب: طبعة دار الشعب، دت،13 / 225

[2] _ الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن،ط الأنجلو بدون تاريخ ص 356 وما بعدها.

[3] _ أبو عبد الله القرطبي:الجامع لأحكام القرآن: دار إحياء التراث العربي، بيروت سنة 1985، 4/ 228

[4] _ أحمد فريد وجدي: المصحف الميسر: ص 85 نقلا عن سنن الله في الخلق، سفيان بن الشيخ الحسين، ديوان المطبوعات الجامعية قسنطينة ص 3

[5] _ حازم زكريا محي الدين:مفهوم السنن الإلهية في الفكر الإسلامي السيد محمد رشيد رضا نموذجا / دار النور بيروت لبنان ط1 سنة 2007 ص 27

بأنها"الطريقة المتبعة في معاملة الله – تعالى – للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة" [1].

وعرفت أيضا بأنها: "القوانين التي أقام الله عليها نظام الكون ونظام المجتمع،وهي سنن وقوانين لها صفة العموم والشمول، كما أن لها صفة الثبات والدوام" [2].

ومما ذكر فيها من قول " إن السنن الإلهية هي: القوانين المطردة والثابتة التي تحكم حركة الحياة والأحياء، وتحكم حركة التاريخ، وتتحكم بالدورات الحضارية" [3].

وتحدث أحمد كنعان عن السنن التي فطر الله عليها أمور خلقه فقال: إنها مجموعة القوانين التي سنها الله عز وجل لهذا الوجود، وأخضع لها مخلوقاته جميعا، على اختلاف أنواعها، وتباين أجناسها" [4].

أما إياد الركابي: فيقول عن السنة التاريخية في القرآن المجيد بأنها"عبارة عن ذلك القانون الذي يحكم سير الفعل البشري" [5].

من خلال هذه التعاريف نلاحظ حضورا أوسع لمفهوم السنن الإلهية عند المعاصرين، كما نلاحظ ارتباطا واضحا لهذا المفهوم القرآني بالكون والتاريخ والمجتمع، مما يدل على انشغال واهتمام الباحثين بهذا الموضوع.

وكمفهوم جامع للسنن يمكننا القول بأنها:" قوانين الله عز وجل التي أقام عليها بمشئته النافذة وحكمته البالغة، نظام الكون والإنسان والمجتمع والحضارة، وهذه القوانين تتصف في مختلف تفاصيلها بالعموم والثبات والاطراد.[6]

2 _ أهمية فقه السنن والحاجة إليه:

تعتبر السنن الإلهية في الحياة الإنسانية عموما، وفي حياة الأمم خصوصا، موضوع ضخم في الحجم، بالغ الأهمية من حيث قيمته وخطره، فالسنن هي: النظام الإلهي لحياة البشر، ومعرفتها تعني: القدرة على تفسير التاريخ تفسيرا صحيحا.[7] مما يؤدي إلى الاعتبار والاتعاظ والنظر في صيرورة الكون ونظام الحياة البشرية في مختلف أطوارها وأبعادها.

---

[1] _ عبد الكريم زيدان السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية: مؤسسة الرسالة، ط 2 سنة 1996 ص13

[2] _ يوسف القرضاوي: العقل والعلم في القرآن الكريم ص 279

[3] _ عمر عبيد حسنة مراجعات في الفكر والدعوة والحركة.ط 2 الرياض منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي سنة 1992.

[4] _ أحمد كنعان:أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق" بيروت دار النفائس سنة 1997 ص 54.

[5] _ أياد الركابي: السنن التاريخية في القرآن المجيد: بيروت دار النهضة الإسلامية سنة 1996 ص 10

[6] _ حازم زكريا محي الدين: مفهوم السنن الإلهية في الفكر الإسلامي السيد محمد رشيد رضا نموذجا: مصدر سابق ص 31.

[7] _ حسن بن صالح الحميد: سنن الله في الأمم: ص 48

وعلى هذا الأساس يعتبر اكتشاف السنن هو الذي مكن العالم المتقدم من التقدم والتحكم في مكوناته. وغفلة المسلمين عن اكتشاف هذه السنن والعمل بموجبها كان سبب الانحطاط والسقوط.[1] الذي آلت إليه الأمة، وعانت منه منذ قرون وتعاني منه حتى اليوم.

وإنه من الأهمية بمكان أن يعتبر العلماء والمفكرون النظر في السنن الإلهية فريضة شرعية وضرورة حتمية، فهو فريضة للآيات الكريمة التي تحث على النظر والسير والاعتبار بمن خلوا، والتفكير في آثار الذاهبين.

فالعلم بالسنن الإلهية من أعظم الوسائل المؤدية إلى كمال العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله وأقرب الطرق إليه وأقوى الآيات الدالة عليه.

وهذا النظر إلى السنن يجعل الإنسان أقدر على التعامل مع سنن الكون ونواميس الحياة الثابتة بلا تغير،المطردة بلا توقف، الماضية على الأفراد والجماعات والشعوب[2].

ولذا فقد عد العلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها. والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل معرفة حقيقتها.يقول محمد عبده: وإنني لا أشك في كون الصحابة كانوا مهتدين بهذه السنن وعالمين بمراد الله من ذكرها.... إلى أن يقول: كانوا يفهمون المراد من سنن الله تعالى. ويهتدون بها في حروبهم وفتوحاتهم وسياستهم للأمم التي استولوا عليها ثم قال: وما كانوا عليه من العلم بالتجربة والعمل أنفع من العلم النظري المحض وكذلك كانت علومهم كلها. ولما اختلفت حالة العصر اختلافا احتاجت معه الأمة إلى تدوين علم الأحكام وعلم العقائد وغيرهما كانت محتاجة أيضا إلى تدوين هذا العلم ولك أن تسميه علم السنن الإلهية أو علم الاجتماع أو علم السياسة الدينية فلا حرج في التسمية" [3].

وبناء على ما ذكر فإن هذه السنن التي بينها الله تعالى في كتابه وبينها الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وتقريراته جديرة بالدراسة والفهم؛ بل إن دراستها وفهمها من الأمور الواجبة ديانة ؛ لأن معرفتها معرفة لبعض الدين.

فيتحصل من ذلك أن معرفة سنن الله جزء من معرفة الدين، أو معرفة لجزء من الدين، وأن هذه المعرفة ضرورية، ومن الواجبات الدينية؛ لأنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا نقع في الخطأ والعثار والغرور، وبذلك ننجو مما حذرنا الله منه، ونظفر بما وعد الله به عباده المؤمنين من الخير العميم والنعيم المقيم.[4]

ومما تجدر الإشارة إليه أن المسلمين الصادقين أولى الناس بمعرفة سنن الله في الأمم وأجدر الناس أن يسيروا على هديها. لذلك فإنه في غزوة أحد لم يلبث أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن ثابوا إلى رشدهم يومئذ ورجعوا إلى

---

[1] _ سفيان بن الشيخ الحسين:سنن الله في الخلق مصدر سابق ص 4

[2] _ رمضان خميس زكي: مفهوم السنن الربانية، مكتبة الشروق الدولية، ط1، سنة 2006، ص 44 _ 46

[3] _ سفيان بن الشيخ الحسين:سنن الله: مصدر سابق ص 7

[4] _ عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية، مصدر سابق ص 16.

الدفاع عن نبيهم وثبتوا حتى انجلى المشركون عنهم ولم ينالوا ما كانوا يقصدون.[1] ولعل هذا ما يجدر بالمسلمين أن يكونوا عليه اليوم.

3 _ السنن الإلهية في الفكر الإسلامي:

يبدو أن المسلمين قد اعتراهم النقص بمعرفة سنن حركة التاريخ والحضارة وإن عايشوا هذه السنن ومارسوها عمليا، ولذلك لم تظهر الاهتمامات بحقيقة السنن كبحوث ونظريات إلا في عصور متأخرة لما بدأت فيها نجوم الحضارة الإسلامية في الأفول، كما هو معروف في حياة ابن خلدون، وبعد تلك الحقبة التاريخية قلت الدراسات التي تعنى ببيان سنن الله في الأنفس والآفاق.

وقد ألهى علماء الإسلام وفقهاؤه نظريات كلامية تسربت إليهم من الثقافات الأخرى وأخذتهم الافتراضات الفقهية التي استغرقت جهودهم وأوقاتهم، واهتموا بالحواشي والتقريرات الخاصة بالتعليق على شرح المتون الفقهية والكلامية وغيرها مما يأتي في آخر مرتبة في سلم الأولويات، فكان كل هذا وغيره على حساب فقه السنن الإلهية في الكون والأنفس والاجتماع والحضارات. وكانت هذه العوامل سببا في اضمحلال حركة الإبداع والتقدم والازدهار في الحياة الإسلامية لعدة قرون خلت.[2]

_ ولعل من أهم العوامل التي أدت إلى هذا العقم في الحياة الإسلامية: أن كل صاحب تخصص يرى العلوم والمعارف والحياة كلها في تخصصه دون أن يربط تخصصه بالسنن التي تحكم الأمم نفسيا واجتماعيا واقتصاديا.

_ بالإضافة إلى ذلك الوهن الذي أصاب اعتقاد كثير من المسلمين في إفادة القرآن لسنن الحياة والأحياء، حيث قلصت شمولية القرآن وغض الطرف عن آيات النظر والاعتبار الواردة فيه، فلم تأخذ امتدادها لتكون علما إنسانيا في التاريخ البشري والعمراني وما يتصل به.[3]

بل حتى السنن المتعلقة بالأمم السابقة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم قد عولجت بهذا المنطق، ودرست وفسرت مجردة عن بقية العلوم والمعارف الأخرى، وبمعزل عن الحياة العامة للناس. فكان تأثيرها ضعيفا أو لا يكاد يذكر على الإطلاق. [4]

إنه من الضروري أن نعرف مدى حضور السنن الإلهية على المستوى النظري والتطبيقي في تاريخ الفكر الإسلامي، رغم ما يسجل على هذا الحضور من ملاحظات وتنبيهات أهمها:

1_ عدم حضور مفهوم السنن الإلهية في تاريخ الفكر الإسلامي بشكل محدد ومبلور بشكل منهجي دقيق ما عدا بعض الإشارات الفكرية عند عدد محدود جدا من علماء الإسلام.

---

[1] _ سفيان بن الشيخ الحسين: سنن الله في الخلق: ص 6

[2] _ مجدي محمد محمد عاشور: السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم:، دار السلام، القاهرة، ط 2 سنة 2007 ص 116.

[3] _ محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن:، ص 88.

[4] _ مجدي محمد محمد عاشور: السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم:، مصدر سابق ص 117.

2_ يمكننا ملاحظة ومتابعة عدد كبير من الجهود الفكرية التي بذلها عدد كبير من مفكري الإسلام، وفي مختلف المجالات، في سبيل الكشف عن سنن الله العاملة في الكون والأنفس والمجتمعات، ولكن دون ربط هذه الجهود القيمة بشكل مباشر وواضح بمفهوم السنن الإلهية باستثناء اكتشافات ابن خلدون في مجال العمران البشري التي حرص على ربطها بسنن الله تعالى في الخلق.

ويمكن أن نذكر من بين علماء الإسلام الذين قدموا إسهامات بارزة في سبيل البحث عن قوانين الله تعالى، وسننه الكونية، والتاريخية، في كافة المجالات، الأسماء التالية: الحسن بن الهيثم، جابر بن حيان، والخوارزمي في مجال الطبيعة والكون. والمسعودي، والبيروني، والإدريسي، وابن بطوطة في مجال التاريخ والجغرافية والرحلات. والماوردي وابن مسكويه، وابن حزم، والغزالي وابن تيمية، وابن خلدون في مجالات الفكر الاجتماعي والسياسي والأخلاقي والتربوي.

3 _ نلاحظ أن بعد وفاة ابن خلدون تقريبا؛ أي في بداية القرن التاسع الهجري، دخل الفكر الإسلامي المستكشف والباحث عن السنن الإلهية، ولو بشكل غير مباشر، مرحلة الركود والجمود والغيبوبة لأسباب كثيرة، ولذلك أصبح العثور على إسهامات علمية جادة في ميدان السنن الإلهية نادرا ومعدوما.

4 _ شهدت بدايات العصر الحديث، انطلاق محاولات جديدة عند بعض علماء المسلمين لاستئناف النظر والدعوة إلى دراسة السنن الإلهية، وقد حمل لواء هذه الانطلاقة جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، من خلال مجلتهما " العروة الوثقى" وبشكل خاص كتابات محمد عبده الذي حمل العبء الأكبر في الدعوة إلى دراسة السنن الإلهية، وبيان مدى الحاجة إليها لإنجاز نهضة المسلمين المرجوة في العصر الحديث.

وحمل رشيد رضا من بعده راية الدعوة إلى دراسة السنن الإلهية، وإبراز أهميتها وضرورتها القصوى للمسلمين، وبقي الأمر في تتابع واستمرار إلى اليوم[1].

4 _ عواقب الإعراض عن السنن: واقع الأمة الإسلامية

تمهيد:

إن عقاب الله تعالى للأمم هو أثر طبيعي واجتماعي لازم لما اقترفته هذه الأمم من المهلكات الحضارية، وهو عقاب ثابت مطرد وغير قابل للإلغاء أو التخلف..... والهدف من تعجيله في الدنيا هو حمل الأمم اللاحقة على الاعتبار بما حل بالأمم السابقة [2].

يقول رشيد رضا في تفسيره لقوله تعالى: **"وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون"** المائدة:71.

"وإنما يعاقب الله الأمم بالذنوب إذا كثرت وشاعت فيها؛ لأن العبرة بالغالب، والقليل النادر لا تأثير له في الصلاح أو الفساد العام.. وهذا هو الواقع وعلته ظاهرة" [1]

---

[1]_ حازم زكريا محي الدين:مفهوم السنن الإلهية في الفكر الإسلامي محمد رشيد رضا نموذجا: مصدر سابق ص 60

[2]_ أنظر المصدر السابق: ص 282، وكذلك محمد رشيد رضا: تفسير المنار: طبع دار المنار، ط 2، سنة1367 هـ، 12/ 240.

و يستنتج من كلام صاحب المنار أنه إذا فشت المنكرات، وعمت الأعمال والأخلاق والقيم الفاسدة في أمة من الأمم، يحكم عليها بالفساد، وتستوجب العقاب الإلهي لها، لأنه يصبح نتيجة حتمية.

والذي لا شك فيه أن الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر، بكل ما فيها من جوانب التقصير، هي امتداد للأمة الإسلامية ذات العمق والامتداد في الزمان والمكان.

ومع ذلك يمكننا القول إن واقع الأمة الإسلامية اليوم، واقع كونته مواقف كثيرة، هزائم وتنازلات ومخالفات عقدية وسلوكية، ومظالم وأهواء وتسلط، واختلافات وجهل وغفلة..في أزمنة متطاولة، وعلى أيدي أجيال متلاحقة، حتى انتهى إلى هذه الصورة الموجعة الأليمة.[2]

الوضعية الحقيقية لواقع الأمة الإسلامية اليوم:

إن أمتنا الإسلامية اليوم تجتاز مرحلة من العجز وفقدان التوازن إزاء مواجهة العديد من التراكمات تكاثفت عليها عبر الأجيال، ولعل من أهمها وأخطرها التخلف الحضاري، وفقدان الهوية، أضف إلى ذلك الكثير من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، فصار من المنطق والمعقول أن تصبح الأزمة التي تعيشها هذه الأمة عميقة الجذور.

ورغم أن المسلمين أحسوا بهذا التدهور ولكن بعد أن أفلت زمام الأمور في العالم من أيديهم بسقوط الخلافة الإسلامية [3]،وآلت شمس هذه الأمة إلى الغروب.

كل ذلك لأن المسلمين اشتغلوا بأهوائهم عن دينهم وبمآربهم الشخصية عن أهدافهم المصيرية وغاياتهم السامية، رغم أنهم كانوا أنفع الأمم للناس، حيث صار خير هذه الأمة يتعدى حدود آفاق الدنيا جميعا، ومن ثم يجب أن يكون ذلك الطابع الخيّر أبرز ما يلفت أنظار العالم إلى هذه الأمة التي تدين بالإسلام والذي باسمه تتحرك وباسمه تجتذب العوام والخواص [4].

إذن فواقع الأمة الإسلامية اليوم يعدّ دون ريب واقعا مؤلما، وهو واقع يسير في اتجاه مضاد لكل مثلها وقيمها الدينية والحضارية، فالنزاعات قائمة بين أبناء هذه الأمة أكثر منها في أي مكان آخر من العالم، وأمور المسلمين المصيرية يقررها غيرهم.

هذا الواقع المتردي لا يجهله الشرفاء من أبناء هذه الأمة، وإن كان غيرهم يعمل في اتجاه معاكس لطموحاتها وآمالها.

إنه من المعروف لدى كل عاقل أن إصلاح حال أمتنا لا يتم إلا بإرادة أبنائها، فإن صحت الإرادات وصدقت العزائم وخلصت النيات فلا شك أن النصر سيكون حليف هذه الأمة وهذا قانون إلهي ثابت وسنة لا تتأخر عبّرت عنها الآية الكريمة (**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم**) الرعد: 11.

---

[1] _ محمد رشيد رضا: تفسير المنار، 6 / 481

[2] _ حسن بن صالح الحميد: سنن الله في الأمم:، مصدر سابق، ص 488، 489.

[3] _ طه جابر العلواني: خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، دار البعث قسنطينة 1989 ص 5

[4] _ محمد الغزالي: كيف نفهم الإسلام، دار الكتب الجزائر، 1987، ص 91

وإننا لا نزال نأمل في غد مشرق لهذه الأمة، تتوحد فيه جهودها ورؤاها وتتفق على الأقل على الحد الأدنى من الأهداف والقضايا المصيرية [1] لتخرج من حالة الضياع التي تعاني منها منذ حقبة من الزمن.

أسباب تردي أوضاع الأمة الإسلامية اليوم: وأسباب هذا التردي تعد من عواقب الإعراض عن السنن الإلهية في حياة الأمة الإسلامية المعاصرة، والتي أدت في مجملها إلى ابتعاد الفكر الإسلامي المعاصر عن التبصر بعواقب الأمور، والتدبر في آيات الله وتنزيلها تنزيلا سننيا على واقع الحياة عبر فهم مقاصدي رفيع، مما أفقد الأمة الجدوى والفاعلية المطلوبة للتقدم والنماء ومن أهم هذه الأسباب:

1 . بعدهم عن الإسلام الحقيقي،وعدم تطبيقهم له مرة وسوء فهمهم له مرة أخرى، زد على ذلك أن بعضهم يربط تخلف المسلمين بالإسلام ويدعى أن الإسلام هو السبب الأول في تخلفهم.

رغم أن الوقائع التاريخية تقول عكس ذلك حيث أننا كلما نظرنا في هذه الوقائع " نجد إنما يحدث النصر والقوة، ويحدث المد عندما يقترب المسلمون من الإسلام، نجد عصر الخلفاء الراشدين عصر عمر بن عبد العزيز.. عصر هارون الرشيد الذي كان رجلا مسلما يحج عاما ويغزو عاما آخر، وعصر صلاح الدين الأيوبي كلما اقترب الناس من الشريعة نجد النصر والقوة والرخاء حليفهم، وإذا ابتعدوا عنها تحدث الهزيمة والإنكسار المبين"[2].

ونحن في عصرنا عندما ابتعدنا عن الإسلام منينا بالهزائم من كل جانب وأصبنا بالاستعمار وغيره من الكوارث والأزمات، ولذلك فهذا التخلف سببه البعد عن حقيقة الإسلام فهما وإيمانا وتطبيقا.

2 . ما واجهه العالم الإسلامي ويواجهه من هجمات شرسة ضد الإسلام، وقد تنوعت هذه الهجمات بين الاحتلال العسكري للبلدان الإسلامية والغزو الفكري والإيديولوجي: فالاستعمار الحديث والصهيونية والصليبية والشيوعية والفرنكفونية والانجلوفونية والاستشراق والتبشير كلها حاولت أن تحد من عظمة المد الإسلامي وأن تطفئ نوره [3].

وكان نتاج هذا كله غزو فكري أغرق العالم الإسلامي الحديث في مشاكل زائفة ومارس ضغوطا قمعية على طاقته الإبداعية ومبادراته الخلاقة التي كان بإمكانها إيجاد حلول جد نافعة للظروف المناسبة من المنظور الإسلامي النقي.

3 . أن ما أوقع الأمة الإسلامية في الضعف والفقر والتخلف، ليس سببه ضعف قواتها العسكرية أو قلة ما تملكه من سلاح وعتاد، إنما يرجع هذا التخلف والتأخر إلى الضعف النفسي الذي أصاب المسلمين في عصورهم الأخيرة [4]، حيث فقدوا الثقة في أنفسهم إلى الحد الذي باتوا يعتقدون معه استحالة اللحاق بالركب الغربي في تقدمه. وحتى لو أدركوا

---

[1] _ محمود حمدي زقزوق: مفهوم وحدة الأمة الإسلامية من خلال القرآن والسنة،، محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي 22 سنة 1988 طبع مطبعة البعث 1993، ص 85

[2] _ يوسف القرضاوي: هموم المسلم المعاصر، دار الشهاب باتنة، ص 20.

[3] _ عبد اللطيف عبادة: العالم الإسلامي بين مواجهة التحدي والخلق الحضاري، مجلة الأصالة، السنة العاشرة جانفي فيفري 1981 ص80.

[4] _ عمر التلمساني: الملهم الموهوب أستاذ الجيل حسن أحمد عبد الرحمن البنا، دار المختار، دت، ص 67.

ما عليه الغرب اليوم يكون هذا الغرب قد سبقهم بخطوات كبرى، تحيل توازن القوى بينهم بعيدا. وهذا مما كان يزيد في غمهم ونكدهم حينا ويغرقهم في الشهوات والملذات حينا آخر.

4 . تولي أمور المسلمين رجال ممن ليس لهم الكفاءة اللازمة في ميدان الحكم والتسيير لأنهم لم يعدّوا له عدة، ولم يأخذوا له أهبة، ولم يتلقوا تربية دينية وخلقية كالتي تلقاها الأولون وكثيرون في عصرهم وجيلهم، ولم يسيغوا تعاليم الإسلام إساغة تليق بقيادة الأمة الإسلامية والاضطلاع بزعامتها [1]، بل هناك منهم من تلقى تربيته وتعليمه على أسس غربية فوقعت تحريفات في الحياة الإسلامية، وتحررت السياسة من رقابة الدين، ومن ثم أصبح رجال الدين والعلم طبقة متميزة، ورجال الدنيا طبقة أخرى لها مميزاتها، والشقة بينهما واسعة، وفي بعض الأحيان يكون بينهما من العداء والتنافس الشيء الكثير فظهرت الفرقة وساد التشتت ونتج عنها ظهور الكثير من الشعارات والعصبيات التي زادت الهوة عمقا حتى بين أبناء البلد الواحد.

5 . ابتعاد الدين عن السيطرة على حركة توجيه المجتمع فآلت حقائق الدين والتي كانت من أساسيات الحياة اليومية في العصور الإسلامية الأولى إلى حقائق لا حياة لها ولا قيمة بل مجرد عبارات يردّدها الأفراد تقليدا لا يقينا [2]، وفقدت حركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سلطانها، وأخلد الناس إلى الترف والنعيم، ومع هذا الانهماك في اللهو ضاع أفراد المجتمع بين دين محرّف وداعية مخرّف، وبين دنيا لا ترحم مريديها حتى تغرقهم في شهواتها فلا هم تمتعوا بحياة حميدة ولا عملوا لآخرة سعيدة:(**سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**) الأحزاب:62. فظهرت العديد من المفاهيم الاجتماعية الغربية التي فرضت وجودها في المسلمين ؛ كالتحرر من مختلف القيود والالتزامات، ورفع شعار مساواة المرأة بالرجل في كل شيء، وتقليد الأجنبي في شتى مظاهر الحياة، فنتج عن ذلك كثير من المفاسد والشرور فتحت على المسلمين أبوابا من الفتن لم يزل العلماء والمصلحون يعانون في دعوتهم من شرها وبلائها.

6 . ظهور الكثير من البدع والانحرافات في أوساط المجتمع الإسلامي حتى أنها شغلت مكانا واسعا من حياة المسلمين وشغلتهم عن الدين الصحيح [3]، وعن دنيا العلم والتطور ؛ ولقد كان للصوفية والطرقية نصيب وافر في نشر هذه البدع والضلالات نظرا لما كان لأغلبهم من حظوة ومكانة عند قوات الاحتلال في العالم الإسلامي ككل، وبذلك تحولت حياة الأمة الإسلامية من الفاعلية إلى الغثائية وأضاعت دورها القيادي وموقعها من الشهود الحضاري الذي حمّلها أمانته الخالق . عز وجلّ .، فكانت النتيجة السلبية والمحتومة فقدان الأمة لمناعتها الحضارية وذوبان هويتها الفكرية الإسلامية ومسخ يكاد يكون شاملا لشخصيتها المتميّزة.

7 . ومما ساعد على استمرار هذا التدهور أن العلماء والمفكرين المسلمين لم يعتنوا بالعلوم الطبيعية التجريبية وبالعلوم العملية المثمرة المفيدة اعتناءهم بعلوم ما بعد الطبيعة والفلسفة الإلهية التي نقلوها من اليونان، وقد أغنى الله

---

[1] _ أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، نشر مكتبة رحاب ط 12 سنة 1987، ص 132

[2] _ منى بنت عبد الله حسن بن داود: جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، دار البشائر للطباعة والنشر بيروت لبنان ط 1 سنة 1996 ص 19 بتصرف.

[3] _ أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: مصدر سابق ص 136.

المسلمين عنها وكفاهم هذا البحث والتنقيب [1]،ورغم ذلك فقد ظلوا قرونا طويلة يجهدون أنفسهم مع هذه العلوم والمباحث في غير جهاد، ويضيعون ذكاءهم في مباحث فلسفية وكلامية لا تجدي نفعا ؛ ويتشاغلون بها عن معرفة السنن الربانية وعن العلوم والاختبارات التي تسخّر لهم قوى الطبيعة ويسخرونها لمصلحة الإسلام، ويبسطون بها سيطرة الإسلام بعقيدته وشريعته على العالم كله.

8 . وخلاصة القول فإنه بالإضافة إلى ما ذكر هناك العديد من العقبات الكبرى التي كانت سببا في تخلف المسلمين وتردي حالهم وبقائهم على ما هم عليه من سوء الحال وقد أجملها الدكتور محمد البهي . رحمه الله . في سبعة عناصر هي:

أولا: تقسيم الأمة الإسلامية.

ثانيا: الفصل بين الدين والدولة وممارسة شؤون الحكم (العلمانية).

ثالثا: الفصل بين الدين والعلم (ليس في الإسلام خصومة بين الدين والعلم).

رابعا: وسائل الإعلام وسخريتها من اللغة الفصحى ومن القيم.

خامسا: تطلع المرأة المسلمة إلى حياة المرأة الغربية وأسلوب عملها.

سادسا: التكتل بين القوى المسيطرة في مواجهة الإسلام.

سابعا: الفصل بين الحكم والدعوة الإسلامية.[2]

والمتمعن لهذه العناصر يدرك جيّدا كيف أنها باعدت بين المسلمين وحقيقة رسالتهم.

5 _ العقاب الإلهي للأمة الإسلامية عند مخالفة السنن أسبابه ومظاهره:

لقد حل العقاب الإلهي بهذه الأمة عندما خالفت سنن ربها فظهرت فيها العديد من المعاصي التي حذر الله من الوقوع فيها

1 ـ فمن تلك المعاصي التي حذرنا الله من الوقوع فيها واستحقاق عواقبها: التراخي في الدفاع عن الأوطان وترك الجهاد في سبيل الله ولإعلاء كلمته. وهذا سنة إلهية؛ هي سنة التدافع، قال تعالى: **"وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"** الأنفال:39....فهو تعالى يطلب من المؤمنين قتال الكافرين حتى لا يوجد فيهم شرط ولا قوة، فيضمحل كل دين باطل ويبقى دين الإسلام، وحتى لا يبقى المسلمون عرضة للكافرين فيحرفوهم عن دينهم بالشبهات[3].

2 ـ ومن المعاصي التي حذرنا الله من الوقوع فيها: التنازع والاختلاف، حيث أمرنا بالوحدة، ونهانا عن الفرقة فالواجب على المسلمين الاتحاد لأن الدول لا تقوم إلا إذا كان اتحاد وتعاون وتلاحم بين أفرادها[4] كما قال تعالى " **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**" آل عمران:103

---

[1] _ المصدر السابق: 135

[2] _ أنور الجندي: صفحات مضيئة من تراثنا الإسلامي، دار بوسلامة للطباعة والنشر تونس، ص 173.

[3] _ جار الله الزمخشري: تفسير الكشاف:، 157/2

[4] _ ابن خلدون: المقدمة ص 142

فالاختلاف والتنازع يؤدي إلى الفشل وذهاب القوة والهلاك، كما أخبرت بذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، زيادة على ذلك فهذه سنة ربانية ثابتة وماضية إلى يوم يبعثون.

3 ـ ومن أسباب العقاب لأمتنا التكالب على الدنيا والحرص عليها وجعلها هي الغاية[1]، قال تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**" المنافقون: 9

ومن حديث طويل قال صلى الله عليه وسلم: فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم" [2].

وقد فهم الصحابة أن مخالفة أمر الله سبب في زوال السيادة وحلول المصائب، فكانوا من أشد الناس تتبعا لأقواله وأفعاله.

4 ــ ومن العقاب الإلهي لهذه الأمة ما آلت إليه الخلافة الإسلامية من سقوط وتمزيق لوحدة العالم الإسلامي، وتنحية شريعة الله عن الحكم وفرض التحاكم إلى غير شريعته.

ونتج عن ذلك كله ضعف الشخصية وذهاب الهوية لأفراد المجتمع الإسلامي نظرا لتفشي الفساد الاجتماعي والانحلال الخلقي.

ثم كانت تلك الهجمة الصليبية الشرسة؛ مادية ومعنوية والتي طالت مختلف أنحاء العالم الإسلامي وأتت على الأخضر واليابس في كثير من بلاد المسلمين[3].

ونتيجة لسلب الحريات وإهدار كرامة الإنسان هاجرت الكثير من العقول الإسلامية المبدعة، فحرمت الأمة من أهم عناصر البناء على الإطلاق، وهو الإنسان. كما نزحت رؤوس الأموال الإسلامية وحرمت البلاد من فوائدها.

فوقعت بذلك بلاد المسلمين ضحية الفوضى السياسية، بصورة لا مثيل لها، حتى صار العالم الإسلامي حقلا للتجارب المستوردة من هنا وهناك.

وأخيرا من عقوبات الإعراض عن سنن الله تنكب الكثير من المسلمين عن جادة الحق، فانتكست المفاهيم عندهم، وعمت الفوضى السياسية منابرهم، فصارت الشعوب في واد وحكامها في واد آخر[4].وهذا من سنن الله في الأمم والجماعات، فالسيادة في الأرض لا تكون للمستضعفين، وإنما تكون لمن يستحقون هذه السيادة كما قال تعالى: "**وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين**" إبراهيم: 13

وكما أشار الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في قوله: قولك بأن الخلل قد يكون فكريا ثقافيا، فهذا صحيح وأنا لاحظت أن الثقافة الإسلامية، حدث فيها شيء من العوج، فمن ناحية التربية والتصور انسحب الناس من الحياة، رأوا

---

[1] ــ شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك:،مكتبة الرشيد الرياض ط1سنة 2004،2/427.

[2] ــ مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الزهد، 4/2274.

[3] ــ حسن بن صالح الحميد: سنن الله في الأمم من خلال القرآن الكريم:،دار الفضيلة الرياض،ط2سنة 2011 ص502 وما بعدها.

[4] ــ المصدر السابق: ص 510 | .

أن المجتمع فاسد، فانسحبوا وهربوا منه بدلا أن يغيروه" فالشيخ الغزالي رحمه الله يعتقد أن ما حدث اليوم في الأمة الإسلامية، هو ما حصل في الأمم الأخرى تاريخيا والعقاب الإلهي:أن الله نزع قيادة البشرية من أيدي المتدينين ووضعها في أيدي العلمانيين، فالقيادة لا تكون دائما للأديان، وأهل الدين بحاجة أيضا لأن تكون فيهم رجات داخلية تجعلهم يتحركون من الداخل لإصلاح أنفسهم[1].

لأن من سنن الله في هذه الحياة الدنيا أن تظل هذه الأرض معمورة، وتستمر الحياة عليها حتى لو كانت الغلبة لغير المؤمنين، إلى أن تقوم الساعة قال سبحانه: " **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون**" الأنعام: 129.

فحري بالمسلمين أن ينتهزوا هذه الفرصة التي تتيحها لهم إرادة الله فيقيموا حياتهم على الخير ويهتدوا إلى إقامة منهج الله بتغيير ما بنفوسهم[2] " **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** " الرعد: 11

6 _ النهوض بالأمة الإسلامية بالتفاعل مع السنن وتطبيقها: كيفيته وآليته

لا شك أن النهوض بالأمة يتطلب الكثير من الجهد والبذل والعطاء، لأن هذا النهوض يتطلب التفاعل مع سنن الله وتطبيقها والقيام بهذا لابد له من آليات يقوم عليها، وركائز يرتكز عليها، ويمكن إجمال هذه الآليات على هذا النحو:

1.الإيمان الجازم بأن ما حدث لهذه الأمة لم يكن محض صدفة، بل كان محكوما بسنن قائمة وأسباب معقولة، سنن إلهية عامة ومطردة، تتحقق متى توفرت موجباتها.

2 . أن يفهم المسلمون الإسلام فهما حقيقيا، ويعملوا به عملا متكاملا، ليتمكنوا من إقامة حضارتهم كما أقامها أسلافهم، وأن يؤمنوا بأنه لا طريق لتحضرنا وتحقيق تقدمنا إلا بالإسلام ولأن الأصالة والمعاناة هما الطريق للتحضير، وكما أن الحرية لا تمنح فكذلك الحضارة لا توهب ولا تشترى حتى وإن استوردت كل منتوجات الحضارة، فالحضارة شيء ومنتوجاتها شيء آخر، وذلك لأن الحل الصحيح يكمن في الخلق الحضاري أي في إبداع أصيل يتماشى وروح الشريعة الإسلامية [3]، ويستجيب للأوضاع الجديدة للعالم الإسلامي، إذ من الضروري إبداع الحلول لمشاكل الاقتصاد والإنتاج والاكتفاء الذاتي من المنظور الإسلامي.

3.أن تقتنع الأمة بضرورة التصحيح والتغيير الشامل والابتعاد عن الحلول الجزئية الترقيعية [4]، وتكون الأمة مستعدة له، مؤمنة بضرورة المناصحة وتقويم الأوضاع، وأن يكون النصح والتصحيح والمراجعة شاملة لكل شؤون الدين والدنيا ويكون كل ذلك مضبوطا بضوابط الشرع وقواعده، مع توفر جو الحرية المؤدي إلى الإبداع في الفكر والصدق في التعبير.

---

[1] _ سفيان بن الشيخ الحسين: سنن الله في الخلق، مصدر سابق، ص 29.

[2] _ شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية: مصدر سابق ص451، نقلا عن جاهلية القرن العشرين:محمد قطب ص 200

[3] _ عبد اللطيف عبادة: العالم الإسلامي بين مواجهة التحدي والخلق الحضاري، الأصالة مصدر سابق ص 81.

[4] _ حسن بن صالح الحميد: سنن الله في الأمم من خلال القرآن الكريم، مصدر سابق، ص 605

4.التدرج وتقديم الأولويات في الإصلاح والتغيير. وهي خطوة لابد منها لكل عمل وإصلاح يراد له الاستمرار، وفقه السنن يتطلب ضرورة التدرج والمرحلية في تغيير أحوال الأمة نحو الأحسن، وهو أمر تحكمه ظروف الأمة وأحوال الدعوة.

5 ضرورة التفريق بين الإسلام كدين وبين واقع المسلمين العملي، وهي خطوة ضرورية لكل عمل تصحيحي، يراد منه إخراج الأمة الإسلامية.[1] حتى نعيد ثقة الأمة بالإسلام الحق.

6.ضرورة إيمان المسلمين بدورهم الإنساني والعالمي، وأن الأزمة الإنسانية الكبرى التي تمر بها في حاجة إلى روح الإسلام العالمية، وفكره الإنساني، وتقاليده وأساليبه في التقريب، وقدرته على التنسيق [2]، لأنه إذا لم يؤمنوا بهذا الدور الرسالي فلا يمكن لهم الترشح لقيادة البشرية مرة أخرى.

7. العمل على تربية الأمة التي تعيد بناء كيان الإنسان والكون والحياة، مع المحافظة على ذاتية الأمة من الانصهار لأن ذلك من أخطر العوامل التي تفقد هذه الأمة شخصيتها وقوتها وقيمتها، كما أنه لابد من العمل أيضا على تحقيق التصور الحضاري الإسلامي الذي يبدأ بدرجات عميقة في قضايا الفكر ومناهج إصلاحه، وينتهي بإسلامية المعرفة وطرح البديل الثقافي المتكامل [3]، وذلك بالعودة الواعية للتعامل مع الكتاب والسنة. ومن خلال هذا يمكن تحقق تصور حضاري يسعى إلى بناء أمة ومجتمع ودولة حديثة قوية متماسكة تقوم على احترام الإنسان كخليفة الله في الأرض، وهذا حتما سيؤدي إلى تحقيق التمكين لدين الله مع ضمان الثوابت التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم.

8.أن يعلم المسلمون أن التغيير الحقيقي لابد أن يبدأ من الداخل ولا يستورد من الخارج، كما أن إصلاح الداخل هو الطريق الوحيد لإصلاح الخارج، ولأن إصلاح الخارج لا يؤدي إلى إصلاح الداخل حتما قال تعالى (**إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم**) الرعد: 11.

كما أن التغيير نحو الأحسن يعتبر من خصائص المنهاج الحضاري الإسلامي وهو يرفض: الترقيع والترميم، ويرفض أنصاف الحلول أو أرباعها[4]، ويرفض المساومة في المبادئ ويرفض التعايش مع أهل الزيغ والانحراف وقد كان نهج الرسول . صلى الله عليه وسلم . تغييريا. وطرق الدعوة والتغيير كثيرة وأساليبها متعددة وبجميع الوسائل المطبعية والسمعية البصرية العصرية الممكنة والتي لها دور حيوي وفعال في الدعوة إلى الإسلام، زيادة على ما تقوم به الجامعات والمعاهد الإسلامية التي ينتظر أن يكون دورها جد فعال في هذا المجال.

9.العمل على تخليص الناس من المفاهيم الحضارية الدخيلة؛ لأن هذه المفاهيم في جملتها هي التي خرجت بالإسلام عن روحانيته الصافية، وأصوب طريق لاقتلاع هذا المرض من جذوره يكمن في إزالة التناقض الكبير بين مختلف دوائر أهل الحل والعقد، بين الهيئات والمؤسسات، والعلماء والزعماء، والشباب والشيوخ، والعلماء والشعراء،

---

[1] _ المصدر السابق: ص 606 _ 607

[2] _ فتحي رضوان: الإسلام ومشكلات الفكر، دار المعارف بمصر، ص 169.

[3] _ طه جابر علواني: خواطر في الأزمة الفكرية، مصدر سابق ص 19.

[4] _ محمد أبو سليماني: بعض المقومات الحضارية للأمة الإسلامية، مجلة الإرشاد العدد الأول ديسمبر 1989 ص 23.

والأدباء...وبين الواقع والإعلام، وبين السياسة الداخلية والخارجية... فهذا التناقض غطى على مساحة العالم الإسلامي كله، فلم يعد يعرف من الذي له الحق ومن الذي هو على باطل. فكان لابد من بذل الجهد المتواصل والعمل الجماعي المنسق من أجل النهوض بالجهود المبعثرة وبعث الطاقات المعطلة.

10. ضرورة إبراز جانب العبقرية الإسلامية في مجالات العلوم والفنون ليتخذها المسلمون المبهورون قدوة حسنة، ويعرفوا أنها جاءت في سياق سنن الله في التغيير، وذلك بتبيين كيف أنه لما كان جنود الفتوحات الإسلامية الأولى يفتحون البلاد للدعوة الإسلامية، كان جنود العلم يدوّنون العلوم المختلفة ويضعون القواعد ويرسونها لأقوى نهضة فكرية علمية عرفها تاريخ البشرية حتى عصرهم [1]، وأن نهضة فكرية تبلغ هذه الدرجة في تلك الفترة القليلة، لهي حضارة قائمة على مقومات خاصة، جعلتها تسبق حواجز الزمن لكي تصل إلى مدارج الكمال، لتصبح حضارة جديرة بالبقاء.

11. ضرورة العمل على توسيع نطاق عوامل الوحدة بين أقطار الأمة الإسلامية وذلك من خلال الثقافة والفكر والتراث والعلم وتقليل مساحة الخلاف [2]، وخلق جو من الثقة بالدور العظيم الذي قامت به هذه الأمة عبر تاريخها الطويل، وتأكيد عامل الإيمان بقدرة هذه الأمة على امتلاك مكان القيادة والريادة وإعادة البشرية إلى الله تبارك وتعالى عن طريق تبليغ الإسلام وقيادة الركب الإنساني وإنقاذ المجتمع البشري من الانهيار والانتحار.

12.أن ندرك ونفقه الصعوبات والعقبات التي تواجهها الأمة الإسلامية في سبيل التغيير وفي مرحلة النهوض. خاصة منها العقبات الذاتية والصعوبات الداخلية والخارجية، وغياب القدوة الصالحة المؤثرة التي تسهم في الإقلاع الحضاري من كل جوانبه. [3]

13.أن نعتمد في مسالكنا العلمية والتعليمية الدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية الهادفة التي تهتم بتشخيص أحوال شعوب العالم الإسلامي، وهذه الدراسات على جانب كبير من الأهمية، وإن من الفقه الرصين في مجال تغيير واقع الأمة، أن يكون هناك مسح اجتماعي للتعرف على طبائع الشعوب وحاجاتها ومزاياها، حتى يشخص الداء ويوصف له الدواء.[4]

14.العمل على نشر العلوم الشرعية في أوساط الأمة، وتنقيتها وتبسيطها، وربط هذه العلوم بالواقع المعايش، واستخدام وسائل الإعلام الحديثة لنشرها على نطاق واسع، وكذا تنشيط الحركة الإعلامية بإقامة المؤسسات الإعلامية المتخصصة، والإفادة مما يمكن الإفادة منه مما هو موجود في هذا المجال.[5].

---

[1] _ محي الدين الألوائي: الأمة الإسلامية ورسالتها الحضارية، منبر الإسلام العدد 1 السنة 28 محرم 1390 هـ 1980 م ص 172

[2] _ أنور الجندي: الأمة الإسلامية وحدتها ووسطيتها، محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي 22 لسنة 1988، ص 17.

[3] _ حسن بن صالح الحميد: سنن الله في الأمم من خلال القرآن الكريم، مصدر سابق، ص 613 _ 615

[4] _ المصدر السابق: ص 616

[5] _ نفس المصدر: ص 632، 648

15.إحياء رسالة المسجد ليكون مكانا لما هو أوسع من مجرد التعليم والوعظ والإرشاد،[1] وذلك بأن يكون منطلقا لأهل الحي، وخاصة أن به منبر الجمعة، والذي لا يوجد عند غير المسلمين مثله، فهو أهم أداة لتربية العقول والنفوس على مبدأ التفكير الجمعي والحس الجماعي بدلا من التفكير الفردي والاهتمام الذاتي الضيق.

وإن واقع الأمة الإسلامية في تفككها وتشرذمها، لأكبر دليل على غياب هذه الروح الجماعية والهم المشترك.

فالأمة الإسلامية في أعظم مكوناتها هي الإنسان بخصائصه، وبما يحمل من مبدأ وفكرة، مضافا إليه الأرض والثروات والزمن، الذي هو عمر الأمة ومضمار سباقها. والبداية من الإنسان، فهو الذي يصنع الحضارة، وهو الذي يحميها.

[1] _ المصدر السابق: ص 638

الخاتمة:

وفي نهاية المداخلة أقول: إن تغير أحوال المجتمعات والأمم من حال إلى حال ظاهرة مشاهدة يشهد لها التاريخ ويشهد لها الواقع الذي نعيشه، فالمجتمعات دائمة التغير من حال إلى حال. من سعادة ورخاء إلى شقاء وشدة، ومن شقاء وشدة إلى سعادة ورخاء.

ومن تقدم وازدهار إلى تأخر وانحطاط، ومن تأخر وانحطاط إلى تقدم وازدهار.

ومن عز ومنعة إلى ذل وضعف جانب، ومن ذل وضعف جانب إلى عز وقوة جانب.

ومن فوز ونصر إلى هزيمة وهوان، ومن هزيمة وهوان إلى فوز ونصر. ومن فقر إلى غنى ومن غنى إلى فقر. ومن علة ومرض إلى صحة وعافية ومن صحة وعافية إلى علة ومرض.

ومن أمن واطمئنان إلى قلق ورعب، ومن قلق ورعب إلى اطمئنان وأمن. فكم من أمة كانت في نعيم وسعادة وتقدم وتمكين وغنى، تغير حالها فأصبحت في حرمان وشقاء وشدة وتأخر وهزيمة وغزو من الأعداء، وكم من أمة كانت شقية وضعيفة ومهزومة فأصبحت سعيدة قوية منتصرة،.[1] لأن الأيام دول، ولو دامت لغيرك ما وصلت إليك.

كل ذلك يؤكد بما لا يدعو للشك، عمل سنن الله في الخلق والكون والإنسان، والزمان والمكان، فحري بالأمة الإسلامية أن تستنهض همتها، وتقوي عزمها، وتعمل بسنن الله التي أمضاها في خلقه، لعلها تدرك ما فات، فلعل ما هو آت خير مما ذهب وفات.

والله الموفق

[1]_ شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، مصدر سابق ص 5.